

دور الأسرة في تنمية الصحة النفسية لدى الأطفال

احنف عبد الحكيم عربي البطاينة: جامعة أوهايو للعلوم والتكنولوجيا – الولايات المتحدة الأمريكية

ليننا نسيم يوسف فياض: جامعة أوهايو للعلوم والتكنولوجيا – الولايات المتحدة الأمريكية

فداء محمود عيسى الشرمان: جامعة أوهايو للعلوم والتكنولوجيا – الولايات المتحدة الأمريكية

الملخص

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على دور الأسرة في تنمية الصحة النفسية لدى الأطفال، من خلال إبراز أثر البيئة الأسرية وأساليب التنشئة الوالدية في بناء شخصية الطفل وتحقيق توافقه النفسي والاجتماعي. واعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، بالاستناد إلى مراجعة الأدبيات والدراسات العلمية الحديثة ذات الصلة بموضوع البحث، بهدف تحليل العلاقة بين المناخ الأسري، وأساليب المعاملة الوالدية، والصحة النفسية للأطفال. وأظهرت نتائج الدراسة أن الأسرة تمثل البيئة الأولى والأكثر تأثيراً في النمو النفسي للطفل، وأن توفير مناخ أسري يسوده الدفء العاطفي، والحوار الفعال، والتقبل، والدعم النفسي، يسهم في تعزيز الثقة بالنفس، والاستقرار الانفعالي، والمرونة النفسية، والقدرة على التكيف الاجتماعي. وفي المقابل، بينت النتائج أن الممارسات التربوية السلبية، مثل القسوة، والإهمال، والتذبذب في المعاملة، والخلافات الأسرية المستمرة، ترتبط بزيادة احتمالية ظهور المشكلات النفسية والسلوكية لدى الأطفال، كاضطرابات القلق، والاكتئاب، والانطواء، والسلوك العدواني. وتخلص الدراسة إلى أن الأسرة تؤدي دوراً محورياً في الوقاية من الاضطرابات النفسية وتعزيز الصحة النفسية للأطفال، وتوصي بضرورة تطوير برامج الإرشاد الأسري، ونشر ثقافة التربية الإيجابية، وتعزيز التعاون بين الأسرة والمؤسسات التعليمية والمجتمعية، بما يسهم في توفير بيئة داعمة للنمو النفسي السليم للأطفال.

الكلمات المفتاحية: الأسرة، الصحة النفسية، الأطفال، التنشئة الأسرية، أساليب المعاملة الوالدية، الدعم النفسي، التوافق النفسي.

المقدمة

تُعد الأسرة المؤسسة الاجتماعية الأولى التي يتفاعل معها الطفل منذ ولادته، وهي البيئة الأساسية التي تتشكل فيها شخصيته وتتبلور ملامح نموه النفسي والاجتماعي والانفعالي. فالطفل يكتسب من خلال أسرته القيم والمعايير الاجتماعية وأنماط السلوك المختلفة، كما يتعلم أساليب التعبير عن مشاعره والتفاعل مع الآخرين. وتؤكد الأدبيات النفسية والتربوية أن نوعية العلاقات الأسرية ومستوى الدعم العاطفي الذي يتلقاه الطفل داخل الأسرة يؤثران بصورة مباشرة في صحته النفسية وقدرته على التكيف مع متطلبات الحياة المختلفة (Bornstein, 2022).

وتُعد الصحة النفسية للأطفال من القضايا المهمة التي تحظى باهتمام متزايد في المجتمعات المعاصرة، نظراً لما لها من تأثير في النمو المتكامل للفرد وفي قدرته المستقبلية على التعلم والإنتاج والمشاركة الاجتماعية الفاعلة. وتشير الدراسات الحديثة إلى أن السنوات الأولى من حياة الطفل تمثل مرحلة حاسمة في بناء الأسس النفسية التي تؤثر في شخصيته مستقبلاً، وأن الأسرة تلعب دوراً رئيساً في توفير بيئة آمنة ومستقرة تسهم في تنمية الثقة بالنفس والالتزان الانفعالي والشعور بالأمان النفسي (Zimmer-Gembeck, & Skinner, 2023).

وفي المقابل، قد تؤدي بعض أنماط التنشئة الأسرية السلبية، مثل الإهمال أو القسوة أو التسلط أو الخلافات الأسرية المستمرة، إلى زيادة احتمالية تعرض الأطفال للاضطرابات النفسية والسلوكية، بما في ذلك القلق والاكتئاب وضعف التوافق الاجتماعي.

لذلك أصبح الاهتمام بدور الأسرة في تنمية الصحة النفسية للأطفال ضرورة تربوية ومجتمعية، خاصة في ظل التغيرات الاجتماعية والتكنولوجية المتسارعة التي تواجه الأسر في العصر الحديث. ومن هذا المنطلق، تسعى هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على دور الأسرة في تعزيز الصحة النفسية للأطفال من خلال استعراض أهم العوامل الأسرية المؤثرة في نموهم النفسي السليم.

مشكلة البحث

تُعد الصحة النفسية للأطفال من أهم مؤشرات النمو السليم، إذ تؤثر بصورة مباشرة في تكوين الشخصية، والقدرة على التعلم، والتوافق الاجتماعي، والنجاح الأكاديمي في المراحل اللاحقة من الحياة (World Health Organization [WHO], 2022). وتؤكد الأدبيات الحديثة أن الأسرة تمثل البيئة الأولى التي يكتسب فيها الطفل أنماط التفكير والسلوك والقيم، وأن جودة العلاقات الأسرية وأساليب التنشئة الوالدية تؤدي دورًا حاسمًا في تعزيز الصحة النفسية أو الإسهام في ظهور الاضطرابات النفسية والسلوكية (Bornstein, 2022; UNICEF, 2021).

وفي ظل التغيرات الاجتماعية والاقتصادية والتكنولوجية المتسارعة، وما يرافقها من ضغوط أسرية وتغير في أنماط التربية، برزت تحديات جديدة تؤثر في قدرة الأسرة على توفير بيئة نفسية آمنة وداعمة للأطفال. كما تشير التقارير الدولية إلى أن نسبة كبيرة من الأطفال والمراهقين يعانون من مشكلات نفسية يمكن الوقاية من جزء كبير منها من خلال توفير بيئة أسرية صحية، وتعزيز أساليب التربية الإيجابية، والدعم العاطفي المستمر.

وعلى الرغم من تزايد الاهتمام بالصحة النفسية للأطفال، فإن هناك حاجة إلى مزيد من الدراسات التي تتناول بصورة شاملة دور الأسرة في تنمية الصحة النفسية للأطفال، وتحليل أثر المناخ الأسري وأساليب المعاملة الوالدية في تحقيق التوافق النفسي والاجتماعي، والكشف عن الممارسات الأسرية التي تعزز الصحة النفسية أو تسهم في ظهور المشكلات النفسية والسلوكية (Yap & Jorm, 2023; Bornstein, 2022).

وبناءً على ذلك، تتمثل مشكلة الدراسة في محاولة الإجابة عن السؤال الرئيس الآتي:

ما دور الأسرة في تنمية الصحة النفسية لدى الأطفال؟

وينفرد عن هذا السؤال الرئيس الأسئلة الآتية:

1. ما دور الأسرة في تعزيز الصحة النفسية للأطفال؟
2. ما أثر أساليب المعاملة الوالدية في الصحة النفسية للأطفال؟

أهمية الدراسة

تتبع أهمية هذه الدراسة من الأبعاد النظرية والتطبيقية التي يتناولها موضوع الصحة النفسية للأطفال، ويمكن توضيحها فيما يأتي:

- **الأهمية النظرية:** تسهم الدراسة في إثراء الأدبيات العلمية المتعلقة بالعلاقة بين البيئة الأسرية والصحة النفسية للأطفال، وتوضيح دور أساليب التنشئة الوالدية في النمو النفسي والانفعالي.
- **الأهمية التطبيقية:** تقدم نتائج الدراسة مؤشرات يمكن أن يستفيد منها الآباء والأمهات والمرشدون النفسيون والتربويون في تحسين أساليب التعامل مع الأطفال وتعزيز الصحة النفسية لديهم.

- **الأهمية الوقائية:** تساعد في التعرف إلى العوامل الأسرية التي قد تسهم في الوقاية من الاضطرابات النفسية والسلوكية لدى الأطفال، بما يدعم بناء شخصية أكثر توازنًا وتكيفًا.
- **الأهمية المجتمعية:** تؤكد الدراسة أن تنمية الصحة النفسية للأطفال لا تقتصر على الأسرة وحدها، بل تتطلب تعاونًا بين المؤسسات التعليمية والمجتمعية والصحية من أجل توفير بيئة داعمة لنمو الطفل.

الدراسات السابقة العربية

هدفت دراسة (يونس، 2022) إلى التعرف إلى العلاقة بين أساليب المعاملة الوالدية كما يدركها الأبناء ومستوى الطمأنينة النفسية لدى عينة من المراهقين، باستخدام المنهج الوصفي الارتباطي. وأظهرت النتائج وجود علاقة إيجابية بين أساليب المعاملة الوالدية الإيجابية (التقبل، والحوار، والدعم) ومستوى الطمأنينة النفسية، في حين ارتبطت الأساليب السلبية، مثل الرفض والقسوة والإهمال، بانخفاض مستوى الطمأنينة النفسية لدى الأبناء. وأوصت الدراسة بتوعية الوالدين بأهمية استخدام أساليب التربية الإيجابية في تنشئة الأبناء.

هدفت دراسة (الغامدي ومحمد، 2021) إلى الكشف عن العلاقة بين أساليب المعاملة الوالدية والضغط الأسري لدى طلاب المرحلة الثانوية بمدينة الدمام، باستخدام المنهج الوصفي الارتباطي. وأظهرت النتائج أن أساليب المعاملة الوالدية السوية ارتبطت بانخفاض مستوى الضغوط الأسرية، بينما ارتبطت أساليب التسلط والتذبذب والحماية الزائدة بارتفاع مستوى الضغوط النفسية لدى الأبناء. وأوصت الدراسة بتدريب الوالدين على الممارسات التربوية الإيجابية.

هدفت دراسة (الشامي، 2022) إلى التعرف إلى أثر أساليب المعاملة الأسرية في شخصية الطفل خلال مراحل التنشئة الاجتماعية، واعتمدت المنهج الوصفي التحليلي. وأظهرت النتائج أن المعاملة الأسرية الإيجابية القائمة على الاحترام والتشجيع والحوار تسهم في بناء شخصية متوازنة، بينما تؤدي القسوة والإهمال والتسلط إلى ظهور العديد من المشكلات النفسية والسلوكية لدى الأطفال.

هدفت دراسة (قراشة، والمحروقي، والمديلي، 2021) إلى تحليل أنماط التنشئة الوالدية في الأسرة العربية وأثرها في شخصية الطفل من خلال مراجعة وتحليل نتائج أكثر من (60) دراسة سابقة باستخدام أسلوب التحليل البعدي. وأظهرت النتائج أن الأسرة ما تزال العامل الأكثر تأثيرًا في بناء شخصية الطفل وصحته النفسية، وأن التحولات الاجتماعية والاقتصادية أثرت في أنماط التنشئة الوالدية، مما يستدعي تعزيز التربية الإيجابية والدعم الأسري لتحقيق النمو النفسي السليم للأطفال.

الدراسات السابقة الأجنبية

هدفت دراسة (Yap and Jorm (2023 إلى مراجعة العوامل الوالدية المرتبطة بالوقاية من الاكتئاب والقلق لدى الأطفال والمراهقين، من خلال مراجعة منهجية للدراسات المنشورة. وأظهرت النتائج أن أساليب التربية الإيجابية، مثل الدعم العاطفي، والتواصل الفعال، والتشجيع، والدفء الأسري، ترتبط بانخفاض معدلات القلق والاكتئاب لدى الأطفال، بينما ارتبطت القسوة والإهمال والتسلط بارتفاع احتمالية الإصابة بالمشكلات النفسية. وأوصت الدراسة بتدريب الوالدين على استخدام أساليب التنشئة الإيجابية للحد من الاضطرابات النفسية لدى الأبناء.

هدفت دراسة (Jugovac et al. (2022 إلى تقييم فاعلية البرامج الوالدية القائمة على تعزيز التعلق الآمن والتنظيم الانفعالي في تحسين الصحة النفسية للأطفال، وذلك من خلال تحليل تلوي شمل (43) دراسة. وأظهرت النتائج أن هذه البرامج أسهمت بصورة ملحوظة في خفض المشكلات السلوكية والانفعالية، وتحسين قدرة الأطفال على تنظيم انفعالاتهم، وتعزيز العلاقة الإيجابية بين الوالدين والأطفال، مما انعكس إيجابًا على الصحة النفسية للأطفال.

هدفت دراسة (MacKinnon et al. (2022 إلى مراجعة أثر البرامج الإلكترونية الموجهة للوالدين في تحسين الصحة النفسية للوالدين، وانعكاس ذلك على النمو النفسي للأطفال. واعتمدت الدراسة أسلوب المراجعة المنهجية والتحليل التلوي، وأظهرت

النتائج أن تحسين الصحة النفسية للوالدين يقلل من الضغوط الأسرية، ويزيد من جودة التفاعل الأسري، الأمر الذي يسهم في تحسين الصحة النفسية للأطفال ويحد من ظهور المشكلات السلوكية لديهم.

هدفت دراسة Ren et al. (2022) إلى التعرف على العلاقة بين الضغوط الوالدية وأعراض الاكتئاب لدى الأبناء، مع دراسة الدور الوسيط للصراعات بين الوالدين. وأظهرت النتائج وجود علاقة إيجابية بين ارتفاع الضغوط النفسية لدى الوالدين وزيادة أعراض الاكتئاب لدى الأبناء، كما بينت أن الصراعات الأسرية تمثل عاملاً وسيطاً يزيد من التأثير السلبي للضغوط الوالدية على الصحة النفسية للأطفال والمراهقين. وأوصت الدراسة بضرورة تقديم برامج دعم وإرشاد أسري للحد من الضغوط النفسية داخل الأسرة.

منهجية البحث

اعتمدت هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، لملاءمته لطبيعة موضوع البحث المتمثل في دراسة دور الأسرة في تنمية الصحة النفسية لدى الأطفال. ويقوم هذا المنهج على جمع المعلومات والبيانات من المصادر العلمية الموثوقة، وتحليلها وتفسيرها بهدف الوصول إلى استنتاجات علمية تسهم في فهم العلاقة بين البيئة الأسرية والصحة النفسية للأطفال.

واعتمد الباحث على مراجعة الأدبيات والدراسات السابقة العربية والأجنبية، بالإضافة إلى الكتب والتقارير الصادرة عن المنظمات الدولية، مثل منظمة الصحة العالمية (WHO) واليونسيف (UNICEF)، والتي تناولت الصحة النفسية للأطفال وأساليب التنشئة الأسرية. كما تم تحليل نتائج الدراسات ذات الصلة، ومقارنتها لاستخلاص أبرز العوامل الأسرية المؤثرة في الصحة النفسية للأطفال، وتحديد الممارسات التربوية التي تسهم في تعزيز النمو النفسي السليم أو التي تزيد من احتمالية ظهور المشكلات النفسية والسلوكية.

وقد تم تنظيم البيانات وفق محوري الدراسة الرئيسيين، وهما:

- دور الأسرة في تعزيز الصحة النفسية للأطفال.
 - أثر أساليب المعاملة الوالدية في الصحة النفسية للأطفال.
- واستند التحليل إلى المقارنة بين نتائج الدراسات الحديثة بهدف الوصول إلى رؤية علمية شاملة حول الموضوع، وصياغة مجموعة من التوصيات التي يمكن الاستفادة منها في المجالين التربوي والإرشادي.

تحليل النتائج

أظهرت نتائج تحليل الأدبيات والدراسات السابقة اتفاقاً واضحاً على أن الأسرة تمثل العامل الأكثر تأثيراً في تكوين الصحة النفسية للأطفال خلال مراحل النمو الأولى، حيث تؤدي طبيعة العلاقات الأسرية دوراً محورياً في تشكيل شخصية الطفل، وتعزيز شعوره بالأمن والانتماء والاستقرار النفسي.

وفيما يتعلق بالسؤال الأول: ما دور الأسرة في تعزيز الصحة النفسية للأطفال؟

بينت نتائج الدراسات أن الأسرة التي توفر بيئة يسودها الحب والاحترام والتقبل والحوار المفتوح تسهم بصورة مباشرة في تنمية الثقة بالنفس، والاستقرار الانفعالي، والمرونة النفسية، والقدرة على مواجهة الضغوط والتكيف مع المواقف المختلفة. كما أن مشاركة الوالدين في حياة الطفل، وإظهار الدعم العاطفي، وتشجيع الاستقلالية، تعزز الشعور بالأمان النفسي وتخفف احتمالية الإصابة بالاضطرابات النفسية.

أما فيما يتعلق بالسؤال الثاني: ما أثر أساليب المعاملة الوالدية في الصحة النفسية للأطفال؟

أظهرت النتائج أن أساليب المعاملة الوالدية الإيجابية، مثل التشجيع، والتقبل، والحوار، والتوجيه، ترتبط بارتفاع مستوى الصحة النفسية لدى الأطفال، وزيادة تقدير الذات، وتحسن العلاقات الاجتماعية، والقدرة على ضبط الانفعالات.

في المقابل، كشفت الدراسات أن الأساليب السلبية، مثل القسوة، والعقاب المفرط، والإهمال، والرفض، والتذبذب في المعاملة، ترتبط بزيادة معدلات القلق والاكتئاب، والسلوك العدواني، والانطواء، وضعف التوافق النفسي والاجتماعي.

كما أظهرت النتائج أن استمرار الخلافات الأسرية وغياب التواصل الفعال بين أفراد الأسرة ينعكس سلبيًا على الشعور بالأمان النفسي لدى الطفل، ويزيد من احتمالية ظهور الاضطرابات الانفعالية والسلوكية، في حين يسهم الاستقرار الأسري في تنمية شخصية متوازنة وقادرة على التكيف مع المجتمع.

وتشير نتائج الدراسة إلى أن دور الأسرة لا يقتصر على تلبية الاحتياجات المادية للأطفال، بل يمتد ليشمل توفير بيئة نفسية واجتماعية داعمة تساهم في الوقاية من الاضطرابات النفسية، وتعزيز النمو النفسي السليم، وهو ما يتفق مع ما أكدته الدراسات الحديثة وتقارير منظمة الصحة العالمية واليونسف حول أهمية التربية الإيجابية والدعم الأسري في تنمية الصحة النفسية للأطفال.

التوصيات

في ضوء نتائج الدراسة، يوصى بما يأتي:

1. تعزيز ثقافة التربية الإيجابية داخل الأسرة، وتشجيع الوالدين على استخدام الحوار والتشجيع والاحترام المتبادل في التعامل مع الأطفال.
2. إعداد وتنفيذ برامج إرشاد أسري تساعد الوالدين على اكتساب المهارات التربوية اللازمة للتعامل مع الأطفال في مختلف المراحل العمرية.
3. توعية الأسر بأهمية الصحة النفسية للأطفال، وأثار أساليب المعاملة الوالدية في نموهم النفسي والاجتماعي.
4. تعزيز التعاون بين الأسرة والمدرسة والمرشدين النفسيين لمتابعة النمو النفسي للأطفال والكشف المبكر عن المشكلات النفسية.
5. توفير خدمات الدعم والإرشاد النفسي للأسر التي تواجه ضغوطاً اجتماعية أو اقتصادية قد تؤثر في أساليب التنشئة الوالدية.
6. تشجيع المؤسسات التعليمية والإعلامية على نشر الوعي بأهمية البيئة الأسرية الداعمة في الوقاية من الاضطرابات النفسية لدى الأطفال.

المراجع العربية

الشامي، خالد زيد. (2022). أساليب المعاملة الأسرية وأثرها في الأطفال. *مجلة الآداب*، 22(1)، 529-550.
<https://doi.org/10.35696/v1i22.817>

الغامدي، محمد مرضي، ومحمد، سيد عبد العظيم. (2021). أساليب المعاملة الوالدية كما يدركها الأبناء وعلاقتها بالضغط الأسري لدى طلاب الثانوية بالدمام. *مجلة العلوم التربوية والنفسية*، 5(23)، 109-125.
<https://doi.org/10.26389/AJSRP.R011020>

قرادشة، منير، والمحروقي، رحمة، والمديلي، شيخة. (2021). أنماط التنشئة الوالدية في الأسرة العربية وأثرها على شخصية الطفل: دراسة تحليلية في ضوء نتائج الدراسات السابقة. *دراسات: العلوم الإنسانية والاجتماعية*, 44(4).

يونس، إيناس راضي. (2022). أساليب المعاملة الوالدية كما يدركها الأبناء وعلاقتها بالطمأنينة النفسية لدى عينة من المراهقين. *مجلة كلية الآداب، جامعة الفيوم*, 14(2)، 890-973.
<https://doi.org/10.21608/jfafu.2022.131274.1740>

المراجع الأجنبية

American Psychiatric Association. (2022). *Diagnostic and statistical manual of mental disorders* (5th ed., text rev.; DSM-5-TR). American Psychiatric Publishing.

Bornstein, M. H. (Ed.). (2022). *Handbook of parenting* (3rd ed.). Routledge.

Jugovac, S., O'Kearney, R., Hawes, D. J., & Pasalich, D. S. (2022). *Attachment- and emotion-focused parenting interventions for child and adolescent externalizing and internalizing behaviors: A meta-analysis*. *Clinical Child and Family Psychology Review*, 25, 754–773.

MacKinnon, A. L., Silang, K., Penner, K., Zalewski, M., Tomfohr-Madsen, L., & Roos, L. E. (2022). *Promoting mental health in parents of young children using eHealth interventions: A systematic review and meta-analysis*. *Clinical Child and Family Psychology Review*, 25(3), 413–434.

Ren, Y., Zou, S., Wang, H., Ying, J., Wang, X., & Wu, X. (2022). *Fathers' and mothers' parenting stress and adolescent depressive symptoms: The mediating roles of overt and covert coparenting conflict behaviors*. *Child and Adolescent Psychiatry and Mental Health*, 16, Article 102.

United Nations Children's Fund. (2021). *The State of the World's Children 2021: On my mind: Promoting, protecting and caring for children's mental health*. UNICEF.

World Health Organization. (2022). *World mental health report: Transforming mental health for all*. World Health Organization. <https://www.who.int/publications/i/item/9789240049338>

Yap, M. B. H., & Jorm, A. F. (2023). Parenting factors and prevention of depression and anxiety in children and adolescents: A systematic review. *Clinical Child and Family Psychology Review*, 26(2), 145–167. <https://doi.org/10.1007/s10567-022-00420-0>

Zimmer-Gembeck, M. J., & Skinner, E. A. (2023). The development of coping and resilience in childhood and adolescence: Family influences and mental health outcomes. *Current Opinion in Psychology*, 52, 101622.